الاستقرار دعوة ربانية وضرورة إنسانية

د/ فهد بن عبدالمنعم صقير السُّلمي

أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية
كلية التربية- جامعة جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن للقلوب نورًا، وجعل حامله في الدنيا والآخرة مسرورًا، وسهَّل حفظه فصار ميسورًا، أحمده سبحانه حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وصلى الله على النبي الأمين وخاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ..

فلا شك أن للقرآن عظمة ومهابة في القلوب وأن أثره ليس له حدود، كيف لا وهو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على نبينا ليكون من المنذرين، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (١) .

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه اعتنى بموضوعات معينة، وكررها في مواطن مختلفة لفظًا وأسلوبًا ومعنًى وتحريرًا، وأعاد فيها وأبدى بأسلوب مغاير وعرض مختلف؛ حتى يعيها السامع ويدرك أهميتها ومدى الحاجة إليها .

ومن خلال تأملي لموضوعات القرآن الكريم لُفت نظري إلى عدد من الموضوعات التي لا يزال فيها مجالًا للبحث والمناقشة، ولعل من أبرزها حديث القرآن عن الاستقرار، فالاستقرار كلمة لها معنى كبير ومفهوم واسع؛ إذ إن جميع شؤون الحياة مرهونة به، فلا يمكن أن تستقيم الحياة بدونه، فهو ضرورة حياتية ومطلب منشود، وحاجة ملحَّة، لا يمكن أن يستغني عنه أحد، وهو مقياس النجاح وفقدانه عنوان الفشل .

ولما كان الحفاظ على استقرار المجتمع المسلم بأشكاله المتعددة "السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية" أصل شرعي أوجبته الكثير من النصوص وأسست له الكثير من القواعد، أحببت أن أدلي بدلوي في سبر أغوار هذا الموضوع المهم، فاستعنت بالله تعالى وجعلت عنوانه " الاستقرار دعوة ربانية وضرورة إنسانية " .

وقد جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي :

المقدمة : عرَّفت فيها بالموضوع، وأسباب اختياري له، وطريقة تناوله .

التمهيد : تقدمة لموضوع الاستقرار .

المبحث الأول : بيان معاني الاستقرار في اللغة، ومعاني بعض مرادفات اللفظ .

المبحث الثاني : بيان أهمية الاستقرار والحاجة إليه .

المبحث الثالث: اهتمام الإسلام بالاستقرار والدعوة إليه .

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٢٣ .

المبحث الرابع : أنواع الاستقرار .

المبحث الخامس: أثر استقرار المملكة العربية السعودية السياسي والاقتصادي على الأمة الإسلامية .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها ثم التوصيات .

قائمة المراجع .

الفهرس .

سائلاً الله تعالى أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل وأن يجعل ما كتبته خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل من اطلع عليه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيـــد

تقدمة لموضوع "الاستقرار"

مما لا شك فيه أن موضوع بحثنا هذا يكتسي أهمية بالغة في عالم اليوم الذي يشهد كل هذه التغيرات والتبدلات التي تجري من حولنا، ولا يمكن أن نعيش بمعزل عن العالم، فالجميع ينشد الاستقرار ويستشرف وحدة الصف، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة أسباب الاستقرار والعمل الجاد على تحقيقها ووضع الحلول والخطط لتنفيذها .

فالاستقرار نعمة من نعم الله تعالى التي أنعم بها على البشرية جمعاء، فلا حياة بلا استقرار، ولا أمن، ولا عبادة، ولا راحة، بلا استقرار، فالاستقرار أصل من أصول الحياة البشرية، لا تزدهر الحياة، ولا تنمو، ولا تحلو بغير استقرار. كيف يؤدي الإنسان عبادته بلا استقرار؟! ما قيمة المال إذا فُقِد الاستقرار؟! كيف يطيب العيش إذا انعدم الاستقرار؟! لذلك جعل الله تعالى الحفاظ على استقرار المجتمع المسلم بأشكاله " السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية" أصل شرعي أوجبه الكثير من النصوص وأسس له الكثير من القواعد، سيأتي ذكر أهمها في المبحث الثالث عند الحديث عن اهتمام الإسلام بالاستقرار والدعوة إليه .

ولما كانت الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وهي عنوان قوة تماسك المجتمع أو ضعفه، جعل الإسلام الاهتمام بها في المقام الأول، فصلاحها صلاح للمجتمع وفسادها يؤدي إلى اضطراب المجتمع وتنازعه؛ لذا أقام الإسلام نظام الأسرة على أُسس سليمة تتفق مع حاجات المجتمع وتساهم في بنائه واستقراره .

فالإسلام يسعى إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة تتوفر بها عناصر السكينة، والطمأنينة، والاستقرار؛ لذلك سن قوانين وقعّد قواعد يمكن من خلالها أن تتحول الأسرة إلى ساعد بناء قوي للمجتمع المسلم، وتكون سببًا رئيسًا في نهضة المسلمين واجتيازهم لأحلك الظروف وأصعب التحديات التي تواجههم .

فإذا نشأت الأسرة نشأة صالحة وفق ما سنه الله تعالى لها من سنن وقوانين نشأ مجتمع صالح آمن مستقر؛ لأن المجتمع في طبيعة تكوينه عبارة عن مجموعة أُسر يشد بعضها بعضًا، فإذا كان هذا هو حال الأُسرة أصبح بناء المجتمع قويًا، يبدأ أعضاؤه حياتهم دون قلق ولا اضطراب ولا نزاعات لا يُنغَّص عيشهم ولا تُهدَّد حياتهم ولا سلامتهم، وتأمن نفوسهم وتطمئن .

وبالإضافة إلى أهمية الأسرة الصالحة في بناء واستقرار المجتمع فهناك عوامل أخرى تُسْهم في استقرار المجتمع كالقوانين، والآليات، والسياسات العامة، والضوابط الأخلاقية التي تُنظم سير الحراك الاجتماعي في المجتمعات .

ولكي يشتد بناء المجتمع فلا بد من حفظ كيانه بإقرار النظام فيه وتحقيق الأمن والسلام وكفالة مصالحه العامة، وذلك بوضع القواعد التي يجب أن يسير عليها كافة أفراد المجتمع من أجل حمايته وتحقيق تطوره وتقدمه .

ولما كان الأمن في المجتمعات هو حامي عرينها وعماد تطورها، فإن مفهومه يرتبط بمفهوم الاستقرار ارتباطًا وثيقًا فلا يمكن تحقيق استقرار من دون أمن، ولا يمكن أن يكون هناك أمنًا بلا استقرار، فبالأمن والاستقرار تستطيع الدول تطبيق قوانينها وأنظمتها وفرض النظام في المجتمع حتى ينعم جميع أفراد هذا المجتمع بالطمأنينة والأمن والسعادة والرفاهية، وينعم المجتمع بالاستقرار والرخاء والتطور والازدهار .

المبحث الأول
بيان معاني الاستقرار في اللغة، ومعاني بعض مرادفات اللفظ

إن معرفة المعاني اللغوية للألفاظ هو أداة لمعرفة الدور الذي تقوم به، وكذلك فإن معرفة معاني مرادفات الألفاظ معينة على الوصول إلى أصوب المعاني التي تؤديها دلالات تلك الألفاظ .

ولما كان موضوع بحثنا هو "الاستقرار" وما يؤدي معناه من الألفاظ فإننا سنبيّن المعاني اللغوية "للاستقرار" ومرادفاته، كلفظ "الإقامة" و"الثبات" و"السكينة" و"الطمأنينة".

أولًا : الاستقرار

استقرار مصدر استقر، يقال : استقرَّ ، استقرَّ بـ، استقرَّ على، استقرَّ في ، اسْتَقْرِر اسْتَقِرَّ ، استقرارًا ، فهو مُستقِرّ، والمفعول مُسْتَقَرٌّ به .

استقر بالمكان : ثَبَتَ فِيهِ وَسَكَن .

استقرَّتِ الأسعارُ : ثَبَتَت .

استقرَّ الحكمُ في البلاد : ثَبَتَ.

اِسْتَقَرَّ رَأْيُهُ على السَّفَرِ : أَقَرَّ رَأْيُهُ ، رَضِيَهُ ، أَمْضاهُ .

اسْتَقَرَّ سُكَّانُ الصَّحْراءِ : ثَبَتُوا في مَكانِهِمْ بَعْدَ تَرْحالٍ .

هُوَ لاَ يَسْتَقِرُّ على حالٍ : لاَ يَثْبُتُ على وَجْهٍ وَلا على قَرارٍ .

عَرَفَ الطَّقْسُ اسْتِقْرارًا : لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ تَغْيِيرٌ، أَيْ بَقِيَ ثابِتًا عَلى ما كانَ عَلَيْه .

عَرَفَتِ البِلادُ اسْتِقْرارًا : هُدُوءاً وَثُبُوتـًا وَسُكونًا .

استقرَّ رأيُه على الأمر : صَمَّمَ عَليهِ واتّخَذَ قَرَارًا بِشَأنِهِ .

لَمْ يَستَقِرّ بَعْدُ عَلى حَالٍ : لَمْ يَتَوصّل إِلى مَوْقِف .

فَتْرَةُ استِقرارٍ اقْتِصَادِي : فَتْرَة بِلا تَضَخّم وَلا انْكِمَاش .

عَدَم الاسِتِقرار الاقْتِصَادِي : اختِلال التَوَازن الاقْتِصَادِي .(١)

ثانيًا : الإقامة

الإقامة من أقام الشيء إذا قوَّمه وسوَّاه، أو من أقامه إذا أدامه واستمر عليه، أو من قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه وتجلَّد، وأقمتُ ببلدة يفيد أنه كان مخالطًا بالبلد، وأقمت فيها يدل على إحاطتها به . ومعنى "أقام الشيء" : جعله قائمًا، أي : منتصبًا. ثم قيل : أقام العود: إذا قوَّمه، أي: سوَّاه وأزال اعوجاجه فصار قويمًا .

---

(١) متاح على : / http://www.arabydownloads.com/almaany-dictionaary-araby-apk-free

يقال : "قام يقوم" وهو موضع القيام، والمراد : المكان. وهو من الخاص الذي جعل مستعملًا في المعنى العام، فإن موضع قيام الشيء أعم من أن يكون قيامه فيه بنفسه، أو بإقامة غيره ومن أن يكون ذلك بطريق المكْث فيه أو بدونه، وبالضم من "أقام يقيم" وهو موضع الإقامة، أي : موضع إقامة الغير إياه، أو موضع قيامه بنفسه قيامًا ممتدًا [(١)] .

وأقامَ بالمكان إقامةً، وأقامَهُ من موضعه، وأقام الشيء، أي : أدامه. ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [(٢)] . والمُقامةُ بالضم : إقامة. وبالفتح : المجلس والجماعة من الناس. وأما المَقامُ والمُقامُ فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، وقوله تعالى : : ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [(٣)] أي: لا موضع لكم . وقوله تعالى : ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [(٤)] أي : موضعًا. والاستِقامةُ: الاعتدال. يقال : استقامَ له الأمر. وقوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ [(٥)] أي : في التوجه إليه دون الآلهة . وقَوَّمَ الشيْ تقويمًا فهو قَوِيمٌ أي : مستقيم [(٦)] .

ثالثًا : الثبات

ثَبَتَ الشَّيْءُ ، يَثْبُتُ ، ثَبَاتًا بالفتح، وثُبُوتًا بالضمّ، فهو ثابِتٌ، وثَبِيتٌ ، وثَبْتٌ بفتح فسكون. شيءٌ ثَبْتٌ : أَي ثابِتٌ. وأَثْبَتَه هو، وثَبَّتَه ، بمعنًى . ويُقال : ثَبَتَ فلانٌ في المكانِ، يَثْبُتُ ، ثُبُوتًا : إذا أَقامَ به، فهو ثابِتٌ . والثَّبِيتُ، كأَمِيرٍ : الفارِسُ الشُّجَاعُ الصّادِقُ الحَمْلَةِ، كالثَّبْتِ بفتحٍ فسكون . يَقولُون : الَذِي في الدارِ زيدٌ، وأَصْلَهُ الَذِي اسْتَقَرَّ أو ثَبَتَ في الدَارِ زَيدٌ [(٧)] .

رابعًا : السكينة

---

(١) أيوب بن موسى، أبو البقاء الكفومي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري ، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ)، ٢٢٨، ١٣٣٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٣ ، وسورة التوبة، الآية : ٧١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية : ١٣ .

(٤) سورة الفرقان، الآية : ٧٦ .

(٥) سورة فصلت، الآية : ٦ .

(٦) محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود حاطر، (بيروت : مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ)، ٥٦٠.

(٧) محمّد بن محمّد، مرتضى ، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٤(القاهرة : دار الهداية)، ٤٧٢، وعثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ١(بيروت: عالم الكتب)، ١٨٦ .

السكينَة : الطُّمَأْنِينَة والاسْتِقْرَار والرَزَانة وَالْوَقار، ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[١] .

والسُّكُونُ ضدّ الحركة سَكَنَ الشيءُ يَسْكُنُ سُكونـًا إذا ذهبت حركته، وأَسْكَنه هو وسَكَّنه غيره تَسْكينـًا، وكل ما هَدَأَ فقد سَكَن، كالريح والحَرّ والبرد ونحو ذلك، وسَكَنَ الرجل : سكت، وقيل : سَكَن في معنى سكت. وسَكَنتِ الريح، وسَكَن المطر، وسَكَن الغضب، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ (٢). قال ابن الأعرابي : معناه وله ما حَلَّ في الليل والنهار. وقال الزجاج : هذا احتجاج على المشركين لأنهم لم ينكروا أَن ما استقرَّ في الليل والنهار لله أَي هو خالقه ومُدَبِّره (٣).

خامسًا : الطمأنينة

الطُّمَأْنِينَةُ مصدر"اطْمأَنَّ" يقال : اطْمأَنّ إلى كذا اطْمِئْنانـًا وطُمَأْنِينَةً : سَكَنَ إليه ووَثَقَ به. ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[٤] . والطَّأْمَنَةُ : الاطْمِئْنانُ . والمُطْمَئِنُّ : المُسْتَوْطِنُ في الأَرْضِ . واطْمَأَنَّتِ الأرضُ وتَطَأْمَنَتْ : انْخَفَضَتْ . والنَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ : التي اطْمَأَنَّتْ بالإِيمانِ وأَخْبَتَتْ لربِّها . واطْمَأَنَّ جالِسـًا واطْمَأَنَّ عمَّا كانَ يَفْعلُه : أَي تَرَكَهُ . وفيه تَطَامُنٌ : أَي سكونٌ ووقارٌ. (٥)

---

(١) سورة الفتح، الآية : ٤ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٣ .

(٣) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط١، ١٣ (بيروت : دار صادر)،٢١١، وإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، ١ (القاهرة : دار الدعوة)، ٤٤٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٦٠ .

(٥) ابن منظور، مرجع سابق، ١٣/ ٢٦٨، والزبيدي، مرجع سابق، ٣٥/ ٣٥٦، ٣٥٧ .

المبحث الثاني : بيان أهمية الاستقرار والحاجة إليه .

الاستقرار بكل أنواعه من أهم مقومات العيش الكريم، فبه يسعد الإنسان ويتحرر، وينموا المجتمع ويزدهر، وترقى الأمم وتتطور، وبالاستقرار يأمن الإنسان على نفسه، وأهله، وماله، ويتفرغ لأمور دينه ودنياه، وإذا حلَّ الاستقرار ببلد حلَّ بها الأمن ووفد إليها الناس وتطلعوا إلى الإقامة فيها، ولولا أهمية الاستقرار لما جعله الله تعالى من خير نعيم أهل الجنة، قال تعالى : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٢) .

ولما كان الاستقرار في الجنان نعيمًا، وفي الجحيم عذابًا، فقد وصف الله تعالى قرار أهل النار فيها بالبؤس والسوء ، قال تعالى : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ (٣)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٤) .

ولولا أهمية الاستقرار لما أشار إليه الله تعالى في اللحظات الأولى عند هبوط الإنسان إلى الأرض، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (٥) .

ولما كان الاستقرار من الأهمية بمكان، فقد قدم الله تعالى ذكره على المعايش والأرزاق والمتاع، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٦) والتمكين هو الاستقرار، أي : ولقد وطأنا لكم أيها الناس في الأرض، وجعلناها لكم قرارًا تستقرون فيها، ومهادًا تمتهدونها، وفراشًا تفترشونها (٧) .

---

(١) سورة الفرقان، الآية : ٢٤ .

(٢) المرجع السابق، الآية : ٧٦ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية : ٢٩ .

(٤) سورة الفرقان، الآية : ٦٦ .

(٥) سورة البقرة، الآية : ٣٦ .

(٦) سورة الأعراف، الآية : ١٠ .

(٧) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٠(مصر : دار اهجر، ١٤٢٢هـ)، ٧٣.

وقال تعالى :﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١)،﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (٢) إلى غيرها من الآيات التي بيَّن الله تعالى فيها أهمية الاستقرار وأنه مقدم على ما سواه من مصالح الناس وأمور حياتهم ومعاشهم .

ونظرًا لأهمية الاستقرار فإن الحاجة إليه تكون ماسة في جميع مناحي الحياة، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي مجال من مجالاتها، فالفرد يحتاج إلى الاستقرار، والبيت يحتاج إلى الاستقرار، والوظيفة تحتاج إلى الاستقرار، والعمل يحتاج إلى الاستقرار، والأسعار تحتاج إلى الاستقرار، والعملة تحتاج إلى الاستقرار، والبيئة تحتاج إلى الاستقرار، والسياسة، والاقتصاد، والأمن، وجميع سلطات الدولة كلها بحاجة إلى الاستقرار، والعالم كله ينشد الاستقرار ويدعو إليه .

ولما كان الاستقرار بهذه الأهمية والحاجة إليه متأكدة، جاء ديننا الحنيف يدعو إلى كل ما يؤدي إلى الاستقرار ويضمن الحياة الكريمة للإنسان، وينبذ كل ما يؤدي إلى الفوضى والاضطراب، لذلك أمر باجتماع الكلمة ووحدة الصف؛ لأنه باجتماع الكلمة وألفة القلوب تتحق مصالح الدين والدنيا، وتتحقق الأخوة، والتناصر، والتعاون . قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (٥) .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) (٦) .

وفي الحديث الآخر : ((يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ))(٧) .

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٩٨ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ١٥٣ .

(٥) سورة المائدة، الآية : ٢ .

(٦) محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ط١ (بيروت:دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ) ح ٦٠١١ كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم، ٨/ ١٠، ومسلم بن الحجاج النيسابوري صحيح مسلم (بيروت : دار الجيل ودار الأفاق الجديدة) ح ٣٤٢ كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه، ١/ ٨٠ .ح ٦٧٥١ كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٨/ ٢٠ .

(٧) محمد بن عيسى الترمذي جامع الترمذي تحقيق : أحمد شاكر وآخرون ط٢ (مصر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي

ومن أعظم ما نهى عنه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الفرقة والاختلاف اللتان تؤديان إلى الاضطراب والفوضى وعدم الاستقرار . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)، وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)) (٤) .

ومما حث عليه ديننا الحنيف لتحقيق الأمن والاستقرار هو البعد عن مواطن الفتن والتحذير منها ومن أسبابها، والأمر بلزوم جماعة المسلمين .

جاء في الحديث الذي رواه أبو داوود، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا (٥)))(٦) .

وعن حذيفة رضي الله عنه، قال : ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ . قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ

١٣٩٥هـ)ح ٢١٦٦(أبواب الفتن(باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤/ ٤٦٦. قال الترمذي : (حسن غريب) .

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة الأنفال، الآية : ٤٦ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٥٩ .

(٤) سليمان بن الأشعث، أبو داوود السجستاني، سنن أبي داوود(تحقيق: شعيب الأرناؤوط(ومحمد كامل بللي، ط١(بيروت:دار الرسالة العالمية(١٤٣٠هـ)ح ٦٦٤(كتاب الصلاة(باب تسوية الصفوف، ٢/ ٧، وأحمد بن شعيب النسائي، المجتبى من السنن، ط٢(حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية(١٤٠٦هـ)ح ٨٠٧، ٢/ ٨٧، ومحمد ابن يزيد القزويني، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، ط١(بيروت : دار الرسالة العالمية(١٤٣٠هـ)ح ٩٧٦(أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها(باب من يستحب أن يلي الإمام، ٢/ ١١٩ . قال الألباني : (إسناده صحيح) . ينظر : محمد ناصر الدين الألباني، صحيح أبي داوود، ط١، ٣(الكويت : مؤسسة غراس للنشر والتوزيع)، ٢٤٠ .

(٥) معنى "واهًا" : التلهف أو الإعجاب بالشيء . ينظر : ابن منظور، مرجع سابق ، ١٣/ ٤٧٢ .

(٦) سنن أبي داوود، مرجع سابق(ح ٤٢٦٣(كتاب الفتن(باب النهي عن السعي في الفتنة، ٦/ ٣٢٠. قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داوود : إسناده صحيح.

دَخَنٌ . قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ. قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ،مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ:هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) (٢) .

مما سبق يتبين لنا أن ديننا الحنيف يأمرنا بكل ما يؤدي إلى الاستقرار، كالسمع، والطاعة، واجتماع الكلمة، ولزوم الجماعة؛ لنكون سدًا منيعًا أمام رياح الفتن والشدائد، ولنحافظ على مصالح دنيانا التي هي قوام حياتنا، وينهى عن كل ما يؤدي إلى عدم الاستقرار، كالخروج على إمام المسلمين، وعن جماعتهم، وعن كل مظاهر وأشكال الفوضى التي نراها اليوم من مظاهرات، واحتجاجات، واعتصامات .

---

(١) صحيح البخاري مرجع سابق، ح ٣٦٠٦ كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ٩/ ٤، وصحيح مسلم مرجع سابق ح ٤٨٩٠ كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ٦/ ٢٠.

(٢) صحيح البخاري مرجع سابق، ح ٧٠٥٤ كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا))، ٩/ ٤، وصحيح مسلم مرجع سابق ح ٤٨٩٦ كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ٦/ ٢١.

المبحث الثالث: اهتمام الإسلام بالاستقرار والدعوة إليه .

بالإضافة إلى ما تقدم ذكره من الآيات والأحاديث التي تبين أهمية الاستقرار ومقدار الحاجة إليه، فإننا نجد أن نصوص القرآن، والسنة، وقواعد الشريعة التي تحث على الاستقرار وتندب إليه وتبين خطر فقدانه على حياة المجتمع وكيف أن الحياة لا يمكن أن تستقيم في ظل انعدام الاستقرار كثيرة ومتنوعة.

فمن القرآن :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) . وهنا نجد القرآن الكريم يحدد عقوبة قوية رادعة لمن يهدد استقرار المجتمع المسلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٢) . فالاستقرار نعمة كبرى يمنّ الله بها على عباده في حين أن فقدانه بلاء وامتحان .

وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ﴾ (٣) . فالاستقرار من موجبات عبادة الله تعالى إذ لا عبادة بلا أمن واستقرار .

ومن السنة :

قوله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))(٤) . وهنا يلخص لنا النبي صلى الله عليه وسلم أسباب السعادة في الحياة ويعطينا مؤشراً حساساً للتنمية وكيف نحكم على مجتمع أنه مجتمع مسقر.

وقوله : ((مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا)) (١) وهنا نهت السنة النبوية عن حمل السلاح على المسلمين؛ لما يسببه ذلك من آثار سلبية على أمن واستقرار المجتمع .

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٥٥ .

(٣) سورة قريش، الآيتان : ٣، ٤ .

(٤) جامع الترمذي مرجع سابق، ح ٢٣٤٦ أبواب الزهد ٤/ ٥٧٤. قال الترمذي : (وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية) . قال الألباني : حسن . ينظر : محمد ناصر الدين الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ٥(الرياض : مكتبة المعارف)، ٤٠٨ .

وكما أشرت سابقًا فقد أسست الكثير من القواعد للحفاظ على الاستقرار كأصل شرعي . من هذه القواعد :

قاعدة "الطاعة في المعروف"

يعتبر الدين الإسلامي طاعة الرعية لولاة أمورهم فرضًا من الفروض وقاعدة من قواعد الحكم في الإسلام، لا يتم استقرار أي مجتمع إلا بها، قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ(٢). وكما هو معلوم فإن طاعة ولي الأمر ليست على إطلاقها؛ بل هي مقيدة بطاعة الله تعالى، ولهذا وضع لها الإسلام حدودًا وشروطًا يجب اتباعها وإذا تحققت الشروط وجبت الطاعة المطلقة، قال صلى الله عليه وسلم : ((لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوف)) (٣) .

قاعدة "النهي عن إقامة الحد وقت الغزو"

هذه القاعدة تقرر أن المحافظة على الاستقرار شرط لتطبيق الحدود، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك حين قال ((لَا تُقْطَعُ الأَيْدِي فِي الْغَزْو))(٤). وقد ذهب الإمام ابن القيم إلى أن سبب النهي هو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضبـًا (٥).

قاعدة "صلاح الدنيا شرط لصلاح الدين"

وهذه قاعدة مهمة للحفاظ على استقرار المجتمع، فصلاح الدنيا منوط باستقرار حياة الناس، فبالاستقرار يسود الأمن، وبالأمن تؤدى الحقوق الدينية والدنوية بيسر وسهولة وطمأنينة وراحة بال، فلا صلاح للدنيا ولا عبادة لله بلا استقرار .

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح ٦٨٧٤، كتاب الديات، باب قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ ، ٩/ ٤، وصحيح مسلم، مرجع سابق، ح ٧٥، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((من حمل علينا السلاح فليس منا))، ١/ ١٧ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٥٩.

(٣) صحيح البخاري، المرجع السابق، ح ٧١٤٥، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية، ٩/ ٤، وصحيح مسلم، مرجع السابق، ح ٤٨٧١، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ، ٦/ ١٥ .

(٤) سنن أبي داوود، مرجع سابق، ح ٤٤٠٨، كتاب الحدود، باب الرجل يسرق في الغزو، أيقطع ؟، ٦/ ٤٥٨، وجامع الترمذي، مرجع سابق، ح ١٤٥٠، أبواب الحدود، باب ما جاء ألا تقطع الأيدي في الغزو، ٤/ ٥٣. قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داوود : إسناده صحيح .

(٥) محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، ٣ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ١٣.

يقول الإمام الغزالي : (نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع ... نظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات، والأمن ...وليس يأمن الإنسان على روحه وبدنه وماله ومسكنه وقوته في جميع الأحوال بل في بعضها، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقًا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة) (١) .

إذن فالاستقرار مفهوم يسعى الجميع إلى تحقيقه، وهو مطلب الأشخاص والأسر والمؤسسات والدول، فالشخص يحتاج إلى استقرار العاطفة والروح ليعمل، والأسرة تحتاج إلى استقرار أفرادها لتنتج، وكذا المؤسسات والدول تحتاج إلى الاستقرار لتتطور وتتقدم، فالتجارب الدولية تشير إلى أنه لا يوجد تقدم وتطور بلا استقرار .

ولما كان مؤشر استقرار الدول يرتكز على استقرارها السياسي، والاجتماعي والاقتصادي، فقد أفردت لذلك مبحثًا مستقلًا، وهو ما سوف أتناول الحديث عنه في المبحث القادم .

المبحث الرابع : أنواع الاستقرار .

الاستقرار مطلب حيوي وحاجة مُلِحَّة وغاية قصوى، تنشده الخلائق على هذه الأرض ليهنأ لها عيشها، هو مطلب فردي وجماعي، وديني ودنيوي، ومحلي ودولي، وله جوانب متعددة يتمم بعضها بعضًا لتكوّن مجتمعًا آمنًا مطمئنًا .

وهذه الجوانب مرجعها إلى ثلاثة أنواع رئيسة، هي: (الاستقرار السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي) .

أولاً : الاستقرار السياسي

استحوذ موضوع الاستقرار السياسي في العصر الحديث على اهتمام العديد من المفكرين السياسيين لما له من أهمية بالغة في نماء الدول وتقدمها؛ إذ يُعد الاستقرار السياسي أساس التنمية والتقدم والتطور في المجتمع، ويرتبط مفهومه بمدى قدرة الدول على التعامل مع المشكلات والصراعات التي تحدث داخل المجتمعات، كما يرتبط مفهومه أيضًا بمدى ما يتحقق من إصلاح وعدالة اجتماعية داخل هذه الدول، فالاستقرار السياسي لا يمكن تحقيقه بالقوة الأمنية والتسلط والهيمنة وتجاهل مطالب الشعوب المشروعة، فكثير من الدول تنعم باستقرار سياسي يُضرب به المثل ولم تمتلك قوة أمنية وعسكرية ضخمة، في حين نجد بعض الدول تمتلك هذه القوة الأمنية والعسكرية

(١) محمد بن محمد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ١٢٨ .

الكبيرة؛ ولكنها تعج بالانفلاتات الأمنية والاضطرابات السياسية، فما إن تلتقط أنفاسها في الخروج من هذه الاضطرابات حتى تطل عليها مشكلات واضطرابات أخرى وهكذا .

ولا يمكن تحقيق استقرار سياسي صلب وقائم على أسس متينة حتى تصفُ العلاقة بين الحاكم والمحكوم ويعرف كل منهما ما له وما عليه من الحقوق والواجبات؛ ليتحقق مبدأ السمع والطاعة للحاكم، وتُضمن الحقوق والحريات للمحكومين .

فالاستقرار السياسي يكمن في قدرة الحاكم السياسي في الدولة على القيام بواجباته والاستجابة لمطالب شعبه والمحافظة على مقدرات وطنه والتكيف مع الأحداث الداخلية والخارجية والحيلولة دون تعرض وطنه لمشكلات وصراعات يصعب حلها بما يتوافق مع إمكانيات دولته وقدرات ووعي شعبه .

إذن فتحقيق الاستقرار السياسي يرتكز على عاملين أساسيين هما : التكيف السياسي للسلطة الحاكمة مع الأحداث الداخلية والخارجية، وارتفاع درجة الوعي السياسي لدى المواطن .

ثانياً : الاستقرار الاجتماعي :

المجتمع الذي يتمتع أفراده بدرجة عالية من الاستقرار الاجتماعي يكون أكثر عطاءً وأعلى إنتاجية ولدية القدرة والاستطاعة على التطور والتقدم بصورة أسرع من ذلك المجتمع الذي تقل فيه عوامل الاستقرار؛ ولكن ماهي العوامل المطلوب توفرها ليحظى المجتمع بالاستقرار ؟ وكيف نحكم على مجتمع ما بأنه مجتمع مستقر ؟ وما هو دور الاستقرار الاجتماعي في دفع عجلة التطور ؟

لتحقيق الاستقرار الاجتماعي في أي مجتمع لابد من توفر عدة عوامل تساعد على استقراره، منها :

١ـ إقامة العدل بين كافة أفراد المجتمع وطبقاته والبعد عن المحاباة والمداهنة والتمييز بين الأفراد والطبقات .

٢ ـ دعم القيم الإيجابية التي تساعد في استقرار المجتمع، كالقيم الدينية، وقيم التكافل الاجتماعي .

٣ ـ الاهتمام الكبير بالأسرة والعناية بها وتربيتها للقيام بدورها الأساسي والمهم في استقرار المجتمع .

٤ ـ إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع، ووضع الحلول للمشكلات الاجتماعية التي من شأنها تهديد استقرار المجتمع، كالفقر، والبطالة، والتهميش، ونحوها .

٥ ـ رعاية الأفراد وتنمية عملية الشعور بالمواطنة والانتماء والمصير المشترك من خلال إحياء النواحي الإيجابية في نفوسهم وتوجيهها، والتي تؤدي بدورها إلى احترام الأنظمة وحمايتها .

٦ ـ نشر ثقافة حتمية التنوع والتمايز بين أفراد المجتمع وطرق ووسائل عيشهم

إلى غير ذلك من العوامل التي من شأنها أن تساعد على استقرار المجتمع، ولا يشترط توفرها جميعًا للحكم على مجتمع ما بأنه مستقر؛ بل متى ما تحققت بعض هذه العوامل وكان المجتمع متماسكًا ومتكافلاً يخلو من مظاهر التفكك والاضطراب حكمنا عليه بأنه مجتمع مستقر .

وفي المجتمعات الإسلامية تبرز الإخوة كعنصر فعَّال في الاستقرار الاجتماعي، يقول الدكتور/ عبدالرحمن الخليفي : (الأخوة الإسلامية تولد لدى أفراد المجتمع الشعور بوحدة حياة الأمة التي تعيش فيها وترابط مصالحها، وهذه النقطة لها أهميتها في مجال الأمن، لأنها مما يجعل الفرد في خدمة الجماعة متعبدًا لله تعالى، ويجعل الجماعة تسهر على راحة الفرد وسلامته؛ لأن الكل يدرك أن أي خلل يصيب فردًا من أفراد الجماعة يعد خللاً في الجماعة وضربة في كيانها. وهذه الحقيقة مما يجعل أفراد المجتمع يتكاتفون على احترام النظام ومراعاة الحقوق، ويتعاونون على محاربة أي فكر دخيل منحرف يهدد دينهم وأمنهم وأموالهم وأنفسهم ونسلهم)[(١)] .

وعلماء الاجتماع يؤكدون على أهمية روح الأخوة في استقرار المجتمع وأمنه، فهم يؤكدون أنه بقدر ما تسود روح الأخوة بين الناس بقدر ما تقل الجرائم ، وبقدر ما تقل هذه الروح في المجتمع تزيد الجرائم وتتوتر العلاقات الاجتماعية بصورة عامة.[(٢)]

وللاستقرار الاجتماعي دور حيوي وفعال في دفع عجلة التطور والتقدم في المجتمعات والدول، فإذا استقر المجتمع ارتفع المستوى الديني، والعلمي، والفكري، والفني لدى أفراده مما يؤثر إيجابًا في عملية بناء المجتمع القوي والمتميز في العديد من النواحي والمجالات المختلفة والمتنوعة، وإذا استقر المجتمع طوّع أفراده جميع الموارد والإمكانيات سواء كانت طبيعية، أو بشرية، أو مالية، أو تقنية، أو تنظيمية لإحداث تغيير شامل في طبيعة وحياة المجتمع، مما يساهم في عمليات التقدم التقني، والاقتصادي، والثقافي، والصحي، والعمراني للمجتمع .

ثالثًا : الاستقرار الاقتصادي

الاقتصاد هو عصب الحياة، ومنبع الحضارة، ومعيار التطور، ويعد استقراره أحد أهم عناصر الاستقرار السياسي والاجتماعي في الدول، ويعد من ضمن أهم المكونات الرئيسة التي تساهم في نهوض المجتمعات وتطورها، ويسهم في تجنيبها التوترات والاضرابات .

---

(١) عبدالرحمن بن سليمان الخليفي، وظيفة العلماء والدعاة في احتواء السلوك الإرهابي، ١١ .

(٢) المرجع السابق، ومقداد يالجن لهي، التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، (الرياض : ١٤٠٨هـ)، ٦١.

وللاستقرار الاقتصادي أهمية بالغة في ترسية الاستقرار السياسي وحماية المجتمع من أي عوامل سلبية يمكن أن تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في استقراره .

ولعل مفهوم الاستقرار الاقتصادي يدور حول الاستغلال الأمثل والرشيد للموارد الاقتصادية المتاحة بهدف تحقيق استقرار في مستويات الأسعار والوصول إلى معدلات تضخم وبطالة منخفظة وتحقيق توازن في ميزان المدفوعات من أجل تحقيق نسب مرتفعة في معدلات النمو الاقتصادي وبالتالي تحقيق مستوى معيشة أفضل للأفراد داخل الدولة [١] .

وتكمن أهمية الاستقرار الاقتصادي في هدفين أساسيين تسعى السياسات الاقتصادية لتحقيقهما، هما :

١- الحفاظ على مستوى التشغيل الكامل للموارد الاقتصادية المتاحة .

٢- تحقيق درجة مناسبة من الاستقرار في المستوى العام للأسعار . [٢]

ولما كان من أهم الأهداف التي تسعى كل الدول لتحقيقها هو تحقيق الاستقرار الاقتصادي فإن من مستلزمات تحقيقه التكامل بين الإجراءات المتخذة باستخدام الأدوات المتنوعة لكل السياسات الاقتصادية، مما يسهم في تسهيل عملية التخطيط الاقتصادي وتحقيق قدر كافٍ من الرضا الشعبي الذي يؤدي بدوره إلى تعزيز الاستقرار السياسي والاستقرار الاجتماعي واستقرار المجتمع والدولة بوجه عام .

الأمن والاستقرار

الاستقرار بكل أنواعه، السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي يرتبط ارتباطًا كاملاً ووثيقًا بالأمن، إذ لا استقرار دون أمن، ولا سلطة دون أمن، ولا تنمية ولا تطور وتقدم دون أمن، فاستقرار الدول يعتمد على أمنها، وارتباط التنمية والتطور بالاستقرار الأمني للدولة وثيقًا، فتحقيق الأمن من أهم الغايات للحياة الكريمة للإنسان، وهو عصب الاستقرار، والحاجة إليه ضرورة لاستمرار الحياة وديمومتها وعمارة الأرض، وتحقيق الغاية التي خلق الله تعالى الناس من أجلها . قال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [٣] .

---

(١) إيمان حملاوي، دور المؤسسات المالية الدولية في تحقيق الاستقرار الاقتصادي، رسالة (ماجستير)، جامعة محمد خيضر، الجزائر، (٢٠١٤م) ٤٨ .

(٢) مسعود دراوسي، السياسة المالية ودورها في تحقيق التوازن الاقتصادي، أطروحة (دكتوراة)، جامعة الجزائر ، الجزائر، (٢٠٠٦م) ٧٧، ٧٨ .

(٣) سورة قريش، الآيتان : ٣، ٤ .

ومن مقومات الاستقرار عمومًا والاستقرار السياسي خصوصًا في الدول وجود سلطات تنفيذية وأجهزة أمنية قوية، تقوم بدورها على أكمل وجه، ومن أبرز مهامها :

١- إصدار اللوائح المفسرة والمنفذة والمفصلة للقوانين .

٢- حفظ الأمن الداخلي، والدفاع الخارجي، والصحة، والتعليم، والتخطيط، والإعلام، والثقافة، والصناعة، والتجارة، وغيرها .

٣- تنفيذ الأوامر وتطبيق الأنظمة والقوانين .

٤- المحافظة على معايير السلوك والأخلاق لكافة أفراد ومؤسسات المجتمع .

٥- دعم وتقوية الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع .

٦- رصد الأحداث المؤثرة على أمن واستقرار الدولة والشعب والتعامل معها بكل حزم وقوة .

٧- ملاحقة المجرمين ومحاسبة المخالفين للأنظمة والقوانين وسرعة القبض عليهم وتقديمهم للعدالة .

٨- توجيه ضربات استباقية لكل ما من شأنه زعزعة الأمن والاستقرار ونشر الفوضى والاضطرابات .

المبحث الخامس
أثر استقرار المملكة العربية السعودية السياسي والاقتصادي على الأمة الإسلامية :

إن ما يميز المملكة العربية السعودية عن غيرها من الدول الإسلامية أنها تأسّست وبُني كيانها على أساس ثابت ومتين من التوحيد والدعوة إلى الله تعالى على منهاج الصحابة والسلف الصالح، وإقامة شريعة الله من منابعها الصافية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، إذ جاء في الباب الأول في المادة الأولى من النظام الأساسي للحكم : " المملكة العربية السعودية، دولة إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض " [١] .

وتكاد تكون المملكة هي الدولة الوحيدة في العالم التي تحكم بشرع الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فمنذ تأسيسها لم تألُ جهدًا في نشر العقيدة السلفية الصافية، وحماية التوحيد الذي جاء به الرسل، وإزالة الشرك من أرضها بكافة أشكاله وصوره، فلا ترى فيها مظهراً من مظاهر الشرك، فحكامها هم خيرة حكام الأرض اليوم إقامة للحدود التي شرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه، وسعيًا لنصرة المسلمين والتدخل بثقلها السياسي والاقتصادي لحل مشاكلهم، والاهتمام بأمورهم، والعناية بهم .

جاء في المادة الخامسة والعشرين من النظام الأساسي للحكم : " تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة وعلى تقوية علاقاتها بالدول الصديقة " [٢] .

وفيها صفوة من خيرة علماء أهل السنة، الذين يدعون للتوحيد ويحذرون من الشرك والبدع، ويتداعون لنصرة إخوانهم المسلمين في كل بقعة من بقاع العالم .

فالمملكة العربية السعودية لها ثقل إسلامي كبير فهي قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم ومنبع التوحيد والعقيدة الصافية، فكل شعوب العالم الإسلامي قاطبة ينظرون لسياسة المملكة تجاه قضايا الأمة الإسلامية بأنها سياسة معتدلة ومتزنة قائمة على مبدأ الأخوة الإسلامية؛ ويثمنون جهودها في نشر العلم الصحيح، والتوحيد الخالص، والثقافة السليمة، والدعوة الرشيدة، والدفاع القوي عن القضايا العادلة في العالم الإسلامي؛ لذا فهم يدركون أن أمن المملكة واستقرارها لا يخص حدودها وشعبها؛ بل يخص ما يزيد عن مليار ونصف مسلم يجدون في هذا الاستقرار غاية وهدفًا، ومستعدون للدفاع

---

(١) متاح على :

https://www.ut.edu.sa/documents/١٦٠٢٩٥٥/٠٨٦٤٢d٢c-b٧٦f-٤١٧٧-b٩f٨-٢b٩ed٩٨fe٧٠e

(٢) المرجع السابق .

عن أمن المملكة واستقرارها بكل ما يملكون من غالٍ ونفيس؛ لأن سلامتها واستقرارها يعني سلامة قبلة صلاتهم ومثوى نبيهم عليه الصلاة والسلام .

وكان للسياسة الخارجية للملكة العربية السعودية تجاه دول وشعوب العالم الإسلامي أبلغ الأثر في نفوس المسلمين، إذ أخذت على عاتقها السعي نحو تحقيق جملة من الأهداف تتمثل فيما يلي :

١- تحقيق التضامن الإسلامي الشامل .

٢- فتح آفاق جديدة للتعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية تهدف إلى دعم قدراتها ومواردها على مختلف المستويات .

٣- التصدي للاجتياح الثقافي والغزو الفكري الذي يهدد العالم الإسلامي بأشكال وأساليب مختلفة .

٤- العمل على تطوير منظمة المؤتمر الإسلامي ودعم أدائها لتحقيق المزيد من الفاعلية لمواجهة المشكلات التي يتعرض لها العالم الإسلامي .

٥- تفعيل دور الدول الإسلامية في ظل النظام العالمي الجديد .

٦- تقديم الدعم والنصرة للأقليات المسلمة في جميع دول العالم، والدفاع عن حقوقهم الشرعية وفق مبادئ القانون الدولي العام .

٧- تقديم الصورة المشرقة والحقيقية للدين الإسلامي وشريعته السمحة والذود عن حياض الإسلام من جميع ما ينسب إليه من ادعاءات وافتراءات محضة كالإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان.(١)

إن ما تتمتع به المملكة العربية السعودية من استقرار على كافة الأصعدة وفي كل المجالات إنما تحقق بفضل الله تعالى، ثم بحكمة قادتها ووعي شعبها، وكلما كان للملكة دور بارز في العالم الإسلامي أصبح الاستقرار عنوانًا للعالم الإسلامي؛ لأنها المركز الديني والحضاري الذي تهفو إليه قلوب المسلمين من كل مكان .

فمتى ما بقيت المملكة مستقرة سياسيًا اطمأن المسلمون على أمنهم وسلامة دينهم وأدوا عباداتهم ومناسكهم بكل يسر وسهولة، فهي تستقبل كل عام ملايين المسلمين من حجاج ومعتمرين وزوار، وتقدم لهم أفضل الخدمات، وتوفر لهم جميع سبل الراحة، وكل ما يحتاجونه ويعينهم على أداء مناسكهم، ففي كل عام نجد لها بصمة إضافية، ولعل خير شاهد على ذلك ما قامت به مؤخرًا من إنشاء أكبر توسعة للحرمين الشريفين في تاريخهما، وما قدمته وتقدمه من مشاريع عملاقة من شبكات للطرق والأنفاق، وبناء المستشفيات، والخيام المقاومة للحريق، وما جندته من آلاف العاملين لخدمة

---

(١) متاح على :

http://www.mofa.gov.sa/KingdomForeignPolicy/Pages/ForeignPolicy٢٤٦٠٥.aspx

الحجاج والمعتمرين والزوار والسهر على أمنهم وراحتهم، لكي يؤدوا مناسكهم في أجواء إيمانية مفعمة بالأمن والطمأنينة والاستقرار .

ومتى ما بقيت المملكة مستقرة اقتصاديًا أثر ذلك إيجابًا على جميع المسلمين، فبحكم موقعها الجغرافي، تُعد قبلة المسلمين فإنها تستهوي أفئدة أكثر من مليار ونصف المليار مسلم، ما يجعلها قوة اقتصادية وهدفًا للمستثمرين المسلمين نظرًا لما تشتهر به من اقتصاد غني وضرائب منخفضة وفرص واعدة في الصناعة والسياحة والزراعة والطاقة .

ويدرك المسلمون حجم الإنفاق المالي الذي تقدمه المملكة لإخوانهم المسلمين لنصرتهم، والدفاع عن قضاياهم، ومقدساتهم، ومشكلات الشعوب والأقليات المسلمة في أنحاء العالم، وما تقدمه من معونات مالية للدول، والشعوب، والأقليات الإسلامية، وإغاثة اللاجئين، والمنكوبين، والمتضررين، وما تقدمه من منح دراسية لتعليم أبنائهم، ودورها الفاعل في بناء المساجد ورعايتها وخدمتها، إذ أسهمت في أعمار عدد كبير من الجوامع والمراكز الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، واهتمامها الكبير بالدعوة لإنشاء المنظمات الإسلامية ودعمها وتوجيه الإعلام الإسلامي للدفاع عن الإسلام وقضايا الأمة الإسلامية .

كل ذلك ما كان ليتحقق لولا أهمية استقرار المملكة السياسي والاقتصادي وأثره على العالم الإسلامي والمسلمين في مختلف أنحاء العالم .

خلاصة

وخلاصة القول هو أن تحقيق الاستقرار في المجتمع مطلب للإفراد، والأسر، والجماعات، والدول، والمجتمعات، ويتطلب تحقيقه تظافر جهود الجميع كل من موقع مسؤوليته، سواء كان حاكمًا، أم عالمًا، أم قاضيًا، أم داعيةً، أم باحثًا، أم معلمًا، أم إعلاميًا، أم اقتصاديًا، أم قانونيًا، أم رجل أمن، أم رب أسرة، وهكذا، فالجميع معني بدرجة أو بأخرى بالإسهام في تثبيت الاستقرار، حتى ينعم الجميع بالاستقرار والرخاء والازدهار .

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي الانتهاء من هذا البحث والذي عشت من خلاله مع موضوع في غاية الأهمية، والحاجة إليه ماسة خصوصًا في مثل هذه الأوقات العصيبة التي تمر بها أمتنا الإسلامية، وقد عمتها الفوضى والاضطرابات والمظاهرات، مما أدى إلى سفك الدماء المعصومة، وترويع الآمنين، وتشريد وتهجير الكثير من أبنائها .

ثم إنه يمكن تلخيص أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث في النقاط التالية :

أولاً : أبرز النتائج :

١- الاستقرار أصل من أصول الحياة البشرية، لا تزدهر الحياة، ولا تنمو، ولا تتطور، ولا تحلو بغير استقرار .

٢- تُعد الأسرة سببًا رئيسًا في استقرار المجتمعات، وساعد بناء قوي في نهضتها .

٣- إن معرفة معاني مرادفات الألفاظ معينة على الوصول إلى أصوب المعاني التي تؤديها دلالات تلك الألفاظ .

٤- تؤدي القوانين، والآليات، والسياسات العامة، والضوابط الأخلاقية، دورًا مهمًا في تنظيم سير الحراك الاجتماعي في المجتمعات .

٥- استقرار المجتمع المسلم بأشكالة " السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية" أصل شرعي أوجبته الكثير من النصوص وأسست له الكثير من القواعد .

٦- اهتمام القرآن بالدعوة إلى كل ما يؤدي إلى الاستقرار ويضمن الحياة الكريمة للإنسان، ونبذ كل ما يؤدي إلى الفوضى والاضطراب .

٧- يرتبط الأمن ارتباطًا وثيقًا بالاستقرار، إذ لا استقرار دون أمن، ولا سلطة دون أمن، ولا تنمية، ولا تتطور وتقدم دون أمن .

٨- استقرار المملكة العربية السعودية مطلب إسلامي، نظرًا لدورها القوي والمؤثر في استقرار العالم الإسلامي .

ثانيًا : التوصيات :

أوصي الباحثين والمهتمين بالتفسير وعلوم القرآن بإعطاء أولوية - عند اختيار مواضيع أبحاثهم- للموضوعات التي اعتنى بها القرآن الكريم وكررها في مواطن مختلفة لبيان أهميتها ومدى الحاجة إليها .

١- كما أوصيهم بالبحث في المواضيع الحيوية التي لها علاقة بالقضايا المعاصرة وتمس حياة الأمة الإسلامية في شتى مجالاتها .

هذا ما تيسر لي، فإن يكن صوابًا فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

قائمة المراجع

- القرآن الكريم .
- إبراهيم مصطفى، الزيات، أحمد، حامد عبد القادر، النجار، محمد،(د.ت) المعجم الوسيط، القاهرة : دار الدعوة .
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (١٤١١هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية .
- ابن جني، عثمان،(د.ت). الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت : عالم الكتب .
- ابن ماجة، محمد بن يزيد، (١٤٣٠هـ) سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، ط١ بيروت : دار الرسالة العالمية .
- ابن منظور، محمد مكرم، (د.ت) لسان العرب، ط١، بيروت : دار صادر .
- أبو البقاء الكفومي، أيوب، (١٤١٩هـ)، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
- ابو واوود، سليمان بن الأشعث، (١٤٣٠هـ) سنن أبي داوود تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل بللي، ط١ بيروت : دار الرسالة العالمية .
- البخاري، محمد إسماعيل (١٤٢٢هـ) صحيح البخاري تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ط١ بيروت : دار طوق النجاة .
- الترمذي، محمد عيسى(١٣٩٥هـ) جامع الترمذي تحقيق : أحمد شاكر وآخرون ط٢ مصر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي .
- حملاوي، إيمان، (٢٠١٤م) دور المؤسسات المالية الدولية في تحقيق الاستقرار الاقتصادي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، الجزائر .
- الخليفي، عبدالرحمن،(د.ت) وظيفة العلماء والدعاة في احتواء السلوك الإرهابي .
- درواسي مسعود، (٢٠٠٦م) السياسة المالية ودورها في تحقيق التوازن الاقتصادي، أطروحة (دكتوراه)، جامعة الجزائر، الجزائر .
- الرازي، محمد بن أبي بكر،(١٤١٥هـ) مختار الصحاح، تحقيق: محمود حاطر، بيروت : مكتبة لبنان .
- الزبيدي، محمد محمد،(د.ت) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، القاهرة : دار الهداية .

- الطبري، محمد جرير، (١٤٢٢هـ) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مصر : دار اهجر .
- الغزالي، محمد بن محمد، (١٤٢٤هـ) الاقتصاد في الاعتقاد، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية .
- محمد ناصر الدين الألباني :

(د.ت) السلسلة الصحيحة، الرياض : مكتبة المعارف.

(د.ت) صحيح أبي داوود، ط١، الكويت : مؤسسة غراس للنشر والتوزيع .
- مقداد يالجن لهي، (١٤٠٨هـ) التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، الرياض .
- النسائي، أحمد شعيب،(١٤٠٦هـ) المجتبى من السنن، ط٢، حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية .
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (د.ت) صحيح مسلم بيروت : دار الجيل ودار الأفاق الجديدة.

مواقع على الشبكة الإلكترونية :

http://www.arabydownloads.com/almaany-dictionaary-araby-apk-free/

(تاريخ الدخول : ١٢/ ٩/ ٢٠١٦م) .

https://www.ut.edu.sa/documents/١٦٠٢٩٥٥/٠٨٦٤٢d٢c-b٧٦f-٤١٧٧-b٩f٨-٢b٩ed٩٨fe٧٠e

(تاريخ الدخول : ١٥/ ١٠/ ٢٠١٦م) .

http://www.mofa.gov.sa/KingdomForeignPolicy/Pages/ForeignPolicy٢٤٦٠٥.aspx

(تاريخ الدخول : ١٦/ ١١/ ٢٠١٦م) .

الفهرس

المقدمة ٦٦٤
التمهيد (تقدمة لموضوع الاستقرار) ٦٦٦
المبحث الأول : بيان معاني الاستقرار في اللغة، ومعاني بعض مرادفات اللفظ..... ٦٦٨
الاستقرار ٦٦٨
الإقامة ٦٦٨
الثبات ٦٦٩
السكينة ٦٧٠
الطمأنينة ٦٧٠
المبحث الثاني : بيان أهمية الاستقرار والحاجة إليه ٦٧١
المبحث الثالث : اهتمام الإسلام بالاستقرار والدعوة إليه..... ٦٧٥
المبحث الرابع : أنواع الاستقرار ٦٧٧
الاستقرار السياسي ٦٧٧
الاستقرار الاجتماعي ٦٧٨
الاستقرار الاقتصادي ٦٧٩
الأمن والاستقرار ٦٨٠
المبحث الخامس: أثر استقرار المملكة العربية السعودية السياسي والاقتصادي
على الأمة الإسلامية ٦٨٢
خلاصة ٦٨٤
الخاتمة..... ٦٨٥
قائمة المراجع..... ٦٨٧
الفهرس..... ٦٨٩